الوَحدة الوطنية
في ميزان الشعر السعودي
دراسة نقدية

د.محمد عرفة حامد عبد الرحمن

مدرس البلاغة والنقد الأدبي

بكلية العلـوم والآداب – جامعة الجوف "سابقا"

الملخص:

في عالم تتوحد فيه الجماعات، وتلملم أشتاتها، كان أمر الوحدة الوطنية أمرا ذا أهمية، وإذا كانت الوحدة نافلة عند غيرنا من الأمم فهي فريضة وواجب شرعي عندنا، مصداقا لقوله تعالى: "وَأَطِيعُوا اللَّه وَرَسُوله وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَب رِيحكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ".(الأنفال/٤٦)، وكذلك: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ".(آل عمران/١٠٣). ومن ثم فقد كنا في حاجة لأن نقف عند نموذج من نماذج تلك الوحدة، نجلي أثرها ونتتبع خطا الشعراء في دربها، وكان الشعر السعودي نموذجا لهذا العمل.

وقد وقف البحث في مستهله على تحرير مصطلحات (الوحدة – الوطنية – الوحدة الوطنية)، ثم تتبع نماذج من شعر الوحدة الوطنية عند شعراء سعوديين محدثين عاصروا الوحدة وما بعدها، ومنهم من عاش ما قبلها، وكيف تغنوا بها وبثمارها، وكيف عدوها في أشعارهم عماد النهضة والبناء، ثم القواعد التي وضعوها لها في أشعارهم.

وأخيرا كان ختام البحث بتوصيات تتعلق بذات السياق من بينها تطلع الباحث إلى مزيد من الدراسات حول شعر "الوحدة الوطنية" بسماته وخصائصه الفنية، وكذلك توجيه الباحثين والمختصين في مجال الدراسات النقدية، بل اللغوية بشكل عام، إلى إلقاء مزيد من الضوء على ديوان الشعر السعودي الثرّ، إذ إنه يمتاز بكثير من الثراء الأدبي والفكري والخصائص التي مازال يعوزها البحث والدراسة..

الكلمات المفتاحية:

الوحدة – الوحدة الوطنية – الشعر السعودي – الشعر الوطني.

Summary:

In a world in which the groups unite and pick their pieces, the matter of national unity was important and if the unity is a super fluous for the other nations it is aguty and a legitimate duty to us asserhional to Gods words: "And obey Allah and His Messenger, and be patient and persevering, for Allah is with those who patiently persevere. (Al- Anfal/46)

And so" And hold fast, all together, by the Rope which Allah stretches out for ye ,and de not divided among your selves; and remember with gratitude Allahs favour on you; eor ye were enemies and He joined your hearts in love, so that by His crace, ye became brethren; and ye were on the brink of the pit of fire and He saved you from it. Thus doth Allah make His signs clear to you: that ye may be guided." (Al-i-Imran1103)

And then we needed to stand at a model of this unity to clear its effect and follow the steps of poets in its path. The Saudi poetry was a model for this work.

The research began with editing the terms(unity- national- national unity)then it followed models of the poetry of national unity for the Saudi poets up dated the unity and beyond. Some of them lived before it and how they sang it and its fruits and how they considered it as the mainstay of Renaissance and construction in their poetry Then the rules which they set for it in their poetry.

Finally the construction of the research recommendations with regard to the same context including the researchers hope of further studies on the poetry of national unity with its characteristics and technical characteristic. as well as directing researchers and specialists in the field of critic studies, but linguistic in general to shed light on the Saudi poetry as it is

characterized by much rich literary and intellectual characteristics that are still tacking research and study .
Keywords:
Unity- national unity- Saudi poetry- national poetry.

المقدمة:

يتناول البحث موضوع الوحدة الوطنية من منظور أدبي نقدي، باعتبار الأدب والنقد بابان من أبواب الفكر بمعناه الشامل. أما عن حدود البحث الموضوعية فهي الشعر السعودي المعاصر، وحدوده الزمانية تبدأ من توحيد المملكة على يد الملك عبد العزيز رحمه الله.

وقد قامت في إطار الوحدة الوطنية –ومنها السعودية– دراسات ومؤلفات كثر، تناولت مفهومها ومعوقاتها ووسائل تعزيزها، وغير ذلك مما يتعلق بها، لكن لم أجد من تناولها–على حد علمي– في مجال الأدب، يقف عند نظرة الشعراء لها، وتحديدًا شعراء المملكة العربية السعودية المعاصرين، فاستنهضت الهمة–مستعينا بالله تعالى–في دراسةالوحدة الوطنية في المملكةالعربية السعودية في ميزان الشعراء المعاصرين أقدم نظرتهم لها، وجانبا من أحاديثهم عنها.

والحق أنه لا يستقيم لأي وطن من الأوطان استقراره بل وجوده، بدون الوحدة الوطنية التي تألف بين أبنائه، وإلا لكان بديلاً عنها صراعات وتحارب واقتتال يأخذ بتلابيب الوطن إلى البقعة المجهولة من خارطة التاريخ، فضياع الوحدة الوطنية قد يعنى اختفاء الأمن، وهذا ما صوره الشاعر ابن عثيمين من واقع الجزيرة العربية قبيل وحدتها فيقول:

فقد كان في نجد قبيل ظهوره من الهرج ما يبكي العيون تفاصله
تهارش هذا الناس في كل بلدة ومن يتعد السور فالذئـــب آكله

فما بين مسلوب وما بين سالب وآخر مقتول وهذاك قاتـــــــــله[1]

ولو أن الوحدة الوطنية نافلة عند غيرنا من الأمم، لكانت في حقنا فرضًا وواجبًا، امتثالا لأمره سبحانه وتعالى:(**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**) (آل عمران، من الآية١٠٣)، وكذا امتثالاً لنهيه سبحانه وتعالى: (**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**) (الأنفال، من الآية ٤٦).

وقد اقتضت الدراسة أن يأتي البحث وعنوانه: "الوحدة الوطنية في ميزان الشعر – دراسة نقدية" في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث يتبعها خاتمة أوجز فيها أبرز التوصيات، واتبعها بثبت للمراجع، وقد جاءت مباحث الدراسة على النحو الآتي:

المقدمة: وأتحدث فيها عن الموضوع وأهميته وحدوده ومحتواه ومنهجه.

التمهيد : ويدور حول مصطلح الوحدة الوطنية، وعنوانه "بين يدي المصطلح".

ثم جاءت المباحث الأربعة كالآتي:

- المبحث الأول: الوحدة الوطنية وفضل الملك المؤسس في عيون الشعراء.
- المبحث الثاني: التغني بالوحدة الوطنية وثمارها.
- المبحث الثالث: النهضة والبناء عماد الوحدة الوطنية في قصائد الشعر.
- المبحث الرابع: دستور الوحدة الوطنية في ميزان الشعراء.
- ثم توصيات البحث.
- وأخيرا ثبت بالمصادر والمراجع.

(١) الأبيات من ديوان محمد بن عثيمين (العقد الثمين)، تحقيق سعد بن عبد العزيز رويشد، مطابع دار الهلال، الرياض، ط٣، سنة ١٤٠٠، ص٢٤٧.

وعن منهج البحث فهو منهج وصفي لا يخلو من جانب تذوقي نقدي في بعض مواضعه. وقمين بي في هذا السياق، أن أشيد بجهد الدكتور مسعد عيد العطوي، حيث اتكأت في مواضع عدة من البحث على كتابه "الشعر والمجتمع"، وكذا الباحث: عطا بن مسفر الجعيد، في بحثه الأكاديمي الموسوم بـ"الوطن في الشعر السعودي المعاصر".

وقبل الختام، يقدم الباحث الشكر الجزيل لقسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة دمنهور على ما تجشمت من مشقة إقامة وتنظيم المؤتمر، فأتاحت الفرصة لنا– الباحثين– أن تظهر جهودنا إلى النور.

وختاما،أسأله–تعالى–العون والتوفيق والسداد،وهو وحده سبحانه من وراء القصد.

التمهيد:

بين يدي المصطلح

الوحدة – الوطنية – الوحدة الوطنية

(١)

(الوَحدة) أم (الوِحدة)، بفتح الواو أم كسرها؟!

سؤال في مستهل هذا البحث – بحكم المنحي اللغوي النقدي لتلك المشاركة– في مؤتمر علمي، لا يخلو من صبغة الأكاديمية، يحتاج إلى إجابة.

تطالعنا كثيرٌ من المعاجم– قديمها وحديثها– بشكل واحد للكلمة وهو (الوَحدة) بفتح الواو، باعتبارها واقعة فى مادة (وَ حَ دُ)، حيث يشير أبو نصر الجوهري (ت:سنة ٣٩٣هـ) في معجمه الصحاح في اللغة إلى أن (الوَحدة) بمعنى الانفراد، ومن قبله الخليل بن أحمد في معجمه العين، وصولاً إلى ابن

منظور في لسان العرب الذي جعل الانفراد ردفًا للوَحدة،[١] لكنه في نفس الصفحة من لسانه حكى عن سيبويه أن "الوَحدة في معنى التوَحُّد"[٢]، ولم يأت الرازي في "مختار الصحاح"، ولا الزبيدي في"تاج العروس" بغير ما ذكره الأولون من كونها بالفتح"الوَحدة"، وأن معناها الانفراد، إضافة لما ذكره ابن منظور من معنى "التَّوَحُّد".بينما تشير المعجمات الحديثة–ومنها المعجم الوسيط–إلى أن "الوَحْدَة(في النظام السياسي): اتحاد أمتين أو أكثر في الرياسة والسياسة والجيش والاقتصاد، بموجبها يكن أمة واحدة"[٣]، ولم يورد– هو أو غيره مما سبقه من معاجم– ذكرًا للوِحدة بكسر الواو.

ومن ثم، فالرأي– فيما توصلت إليه– يكون بفتح الواو، لا بكسرها وهو على غير الشائع من النطق بكسرها وذلك– باعتبار المعنى– من وجهين، الوجه الأول على معنى التوحُّد الذي أشار إليه سيبويه، ومن ثم فالوحدة الوطنية بمعنى التوحد الوطني، والوجه الثاني في معنى الوَحدة : بمعنى الانفراد، وهو ليس ببعيد عما نحن بصدده من معنى؛ ذلك أن الانفراد لا يتعارض مع فكرة الاتحاد؛ لأن الاتحاد يكون بين متفرقين، فإذا تجمع المتفرقون وتوحدوا،صاروا (وَحدة) متفردة بكيانها المتحد؛ أي أصبحوا كيانًا منفردًا بوطنيته التي تختلف عن غيره، ممن تجمع– بعد تفرق– وكوَّن (وَحدة) منفردة منعزلة عن غيره. يدعم هذا ما جاء عند من نثق بعلمهم من نفس الاستخدام للكلمة بالفتح لا بالكسر؛ حيث استخدمها أستاذنا الدكتور أحمد مختار عمر بلفظ "الوَحدة العربية"،

(١) يقول ابن منظور : " والوحيد بني على الوَحدة والإنفراد عن الأصحاب" لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، ط١، ج٣ ص٤٤٦.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة (وَحَد)، ص ١٠١٧.

"الوَحدة الأفريقية"، "منظمة الوَحدة الأفريقية"،[1]ولم يشر فيم استخدم من تلك المصطلحات إلى لفظ الوِحدة بالكسر مطلقًا. ومن ثم ينبغي التوجيه بداية إلى أن الصواب في نطق مصطلح البحث يكون بالفتح فنقول:"الوَحدة الوطنية"،لا "الوِحدة الوطنية "بكسر الواو.

(٢)

الوطنية- عند علماء اللغة- مصدر صناعي[2]من لفظة الوطن، والحق أن مصطلح الوطنية من المصطلحات الفضفاضة التي تحتمل أحيانا دلالة ونقيضها. وقد صنف الدكتور عجيل جاسم النشمي الآراء إزاء معنى الوطنية أقسامًا ثلاثة:

قسم يرى الوطنية عقيدة تربط بين أبناء الوطن ولا رابط بينهم سواها، فأنتج ذلك حباً أعمى وتعصبًا قوميًا وعرقيًا مقيتًا، جعل هؤلاء ينظرون إلى الناس وكأنهم جنس غيرهم ... وهؤلاء ليس للدين عندهم نصيب، بل جعلوا الوطنية حاكما على الدين.

وقسم في الجانب الأخر، لا يري للوطن حرمة ولا للوطنية احترامًا، بل المصلحة المادية والشخصية مقدمة عليهما.

وقسم يرى أن الولاء والبراء يتناقض وحب الوطن واحترام الوطنية، ومن ثم وقع لغط وخلط في مدلولها وتوظيفها،ما بين الإفراط والتفريط دون حد وسط

(١) ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون ، عالم الكتب، القاهرة،ط١، ١٤٢٩هـ، مادة(و حـ د)ج٣،ص٢٤١٢.

(٢) وهي –أي لفظية الوطنية–اسم منسوب لمؤنث إن وقعت نعتا، كما هو الحال عند ربطها بالوحدة لتصير الوحدة الوطنية.

واعتدال.[١] وما بين هذا وذاك يقف فريق آخر يعرف الوطنية بأنها: "تعبير قومي يعنى حب الشخص وإخلاصه لوطنه"،[٢] أو أنها: "انتماء الإنسان إلى دولة معينه، يحمل جنسيتها، ويدين بالولاء لها"،[٣] في حين يرى آخرون الوطنية: " تعبيرا عن واجب الإنسان نحو وطنه"[٤]، أو "قيام الفرد بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام"،[٥] وهذا التعريف الأخير يضمن- كما تقول الدكتورة سلوى المحمادي-" عدم طغيان الوطنية على رابطة الدين، وعلى اعتبار الحقوق المطلوب تحقيقها من الفرد مشروعة وضمن إطار الدين".[٦]

ومن نافلة القول في هذا السياق، أن ثمة فرقا بين مصطلحي الوطنية والقومية، ذلك أن "الوطنية" تستمد معناها من مفهوم "الوطن"، والتي تعني- من بين ما تعني- حب المكان الذي تعيش فيه بسبب طول الانتماء إليه، وإذًا فالوطنية مرتبطة –من بين علاقات أخرى- بالمكان وبالموطن الذي تعيش فيه.

أما القومية فتقوم على العلاقة بين الأفراد أكثر من ارتباطها بالمكان، وهذا لا يعني إلغاء فكرة المكانية فيها، وإنما هي تعني ترابطًا بين الأفراد والجماعات بسبب المعتقدات الدينية أو الفكرية أو المذهبية، أو بسبب وحدة الأصل أو وحدة

(١) ينظر بحث بعنوان" التأصيل الشرعي للمواطنة والعلاقة بين المواطنة والانتماءات القومية والعرقية والدينية" للشيخ الدكتور/عجيل بن جاسم النشمي، قدمه في ندوة بعنوان "المواطنة...حقوق وواجبات"، البحرين، بتاريخ ٢٢ من ربيع الثاني سنة ١٤٢٩هـ، المقدمه.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١٤١٦،١هـ، (١١٠/٢٧)، حرف (الواو).

(٣) الوحدة الوطنية،سليمان محمد الطماوى، القاهرة، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب، سنة١٩٧٤،ص١٧.

(٤) الانتماء في ظل التشريع الإسلامي، د.عبدالله النجار، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة،ص٨٦.

(٥) (حب الوطن) من منظور شرعي، د. زيد بن عبدالكريم الزيد، ط١، ١٤١٧هـ، ص٢٢.

(٦) مفهوم الوطنية والتأصيل الشرعي، سلوى بنت محمد المحمادي، بحث مقدم لندوة الانتماء الوطني في التعليم العام رؤى وتطلعات،المنعقدة في جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض١٤٣٠هـ، ص٥.

المصير أو وحدة اللغة أو وحدة التاريخ...فوحدة أبناء المملكة العربية السعودية، هي وحدة وطنية مرتبطة بالانتماء للمكان، للأرض، للوطن،بينما وحدتهم مع غيرهم من الجماعات الأخرى المتحدة معهم في الدين أو اللغة أو التاريخ أو وحدة المصير.... هي وحدة قومية، ومن ثم فالوحدة الوطنية هي وحدة باقية ببقاء المكان، والمكان لا يزول. بينما الوحدة القومية باقية ببقاء الجماعات المتوحدة، ووفائها بحقوق تلك الوحدة، أي باقية بشروطها وأحوالها. لذلك كان هاجس الأمن الوطني مقدم على الأمن القومي عند أبناء الوطن الواحد.

وقريبا من هذا، ذهب الدكتور عادل صادق إلى أن " الوطنية تختلف عن القومية على احتساب أن الوطنية هي العاطفة التي تميز ولاء الإنسان لبلده أو قبيلته أو شعبه ... وأن الولاء يأتي من خلال الاتصال بالعوامل الطبيعية والاجتماعية، وهى لا تقتصر على جماعة دون أخرى، وعادة ما تنظر بشكل دائم إلى الماضي، أما القومية فهي تعني الخطة الدائمة نحو مستقبل الأمة ... وقد تجمع القومية عددًا من الوطنيات، ولكن تظل الوطنيات قائمة ولا تنصهر بشكل كلي فيها، ومثال ذلك وطنيات الدول العربية.[١]

(٣)

أما عن "الوحدة الوطنية"، فهي مصطلح تعددت تعريفاته عند كثير من الباحثين والمختصين، لكن هل ثمة خيط يجمع بينها؟!

تقتضى الإجابة عن هذا التساؤل عرضًا لبعض تلك التعريفات ثم نتبعها بالإجابة عن السؤال السابق. فالوحدةالوطنية، يعرفها الدكتور محمد عمارة بأنها:

(١) رؤساء الدول العربية أمام حق تقرير المصير وواجب الحفاظ على الوحدة الوطنية والترابية، عادل محمد زكي صادق وآخرون، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، فاس، ١٩٩٤م، ص٤٦.

"التآلف بين أبناء الأمة الواحدة من خلال الروابط القومية على أساس من حقوق المواطنة التي ترفض التمييز والتفرقة بين أبناء الأمة بسبب المعتقد والدين".[١]

وإلى مثل هذا "التآلف" الذي ذهب إليه الدكتور عمارة، ذهب الدكتور عبد السلام البغدادي،حين عرف الوحدة الوطنية بأنها:"وجود نوع من الاتفاق والوفاق على ثقافة وطنية مشتركة"[٢] وأنها "تلك الحالة أو الظاهرة أو الواقعة الاجتماعية التي تتجسد في تفاعل وتواصل جميع أعضاء الجماعة الوطنية–أي سكان الدولة– من أجل تحقيق أهداف مشتركة تخدم مصالحهم جميعًا، دون أن يعني ذلك إلغاء أو زوال الخصوصيات الفرعية لبعض أعضاء الجماعة الوطنية".[٣]

فالتآلف والتوافق هو السمت المشترك فيما مضى من تعريف للوحدة الوطنية عند مفكرينا، وهو ما يتأكد من تعريف آخر بأنها:"عملية اجتماعية تستهدف التقريب،ثم المزج والصهر والتوحد أفقيًا بين الجماعات القبلية، والإقليمية، والدينية التي تتكون منها الأمة، وعموديًا بين الطبقات الاجتماعية، إن وجدت. [٤]

وهي–في تعريف الدكتور صادق الأسود– "صهر العناصر السكانية في وحدة اجتماعية، هي الأمة، وتنظيمها من ثم في نظام سياسي معين، واحتوائها في هيئات ومؤسسات الدولة. أو بعبارة أخرى، تنظيم العناصر السكانية اجتماعياً، والتقدم بها إلى المنظومة الدولية، في هيئة مستقلة ذات معالم وطنية

(١) الإسلام والوحدة الوطنية، محمد عمارة، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٩، ص٢٧.

(٢) الوحدة الوطنية ومشكلات الأقليات في إفريقيا، عبد السلام إبراهيم البغدادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٣،ص٢٩١.

(٣) السابق، ص٢٩٤.

(٤) دراسات فى الوحدة الوطنية، مدثر عبد الرحيم، دار جامعة الخرطوم، السودان، ١٩٨٨،ص١٨.

مميزة عن الدول الأخرى".[١]وبعبارة أخرى:"هي الاتفاق حول القيم العليا بين الجماعات المختلفة والشعور بالانتماء إلى جماعة أكبر هي(الجماعة الوطنية)، بحيث تعلو على الولاءات الضيقة، وبصورة طواعية، ومن خلال الإيمان بأهمية الانتماء، ومن ثم التسليم بأهمية وأحقية النظام السياسي للممارسة السياسية على عموم الجماعة الوطنية".[٢]،إذًا الخيط الجامع لتعريف الباحثين للوحدة الوطنية هو الوفاق والاتفاق والتآلف بين أفراد المجتمع أو الوطن.[٣] لكن تجدر الإشارة إلى أن الوحدة الوطنية قد لا تقوم على الوفاق والتراضي والاتفاق فقط، وإنما يمكن لتلك الوحدة أن تقوم على القهر والجبر والقسر، غير أنها في الحالة الثانية، تكون ضعيفة هشة أقل نتاجًا وأكثر عرضة للتفتت والانهيار، وهذا يقف بنا عند أمرين: أولهما:أنه يمكن تسمية ما يسمى بالوحدة الوطنية الوفاقية أو الرضائية، مقابل ما يمكن تسميته بالوحدة الوطنية القسرية أو الجبرية.

(١) السياسة في الدول النامية، محاضرات مطبوعة بالرينو، صادق الأسود، بغداد، ١٩٧٠،ص١٣٩.

(٢) الوحدة الوطنية والنظام السياسي العراقي، محمد صبري إبراهيم العزاوي، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص١٤. وبمعنى قريب من هذه التعريف للوحدة الوطنية ذهبت الدكتورة عبير مهدي إلى القول بأنها:"شعور عند الأفراد المكونين للمجتمع بالرغبة في التقارب والترابط في إطار المجموعة الواحدة، بحكم ما يمتلكونه من روابط وخصائص مشتركةتدعوهم إلى العمل المشترك لتحقيق أهداف تمثل صالح الجماعةمن خلال الإطار السياسي". ينظر:مفهوم الوحدة الوطنية وطرق تعزيزها في العراق، عبير سهام مهدي، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بحث منشور بمجلة(The International and Political Journal)–نشر جامعة المستنصرية Table of content:2012 volume:issue:22 ، ص١٧٦–٢٠٠.

(٣)من تعريفات المفكرين الغربيين التي تساير مضمون ما سبق، تعريف جان جاك روسو بأنها:" قيام عقد اجتماعي بين الشعب والنظام السياسي القائم، بحيث يتوحد الشعب في وحدة قومية مصيرية وفي إطار مسؤولية مشتركة،يطيع فيها الفرد الحكومة،التي هي نظام اجتماعي ارتضاه عن طواعيةواختيار"

– مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث، عامر حسن فياض وعلى عباس مراد، مطبعة وزارة التعليم العالي، بغداد، ٢٠٠٨،ج١،ص١٠٧.

ثانيا:أن البحث–في هذا السياق– تعنيه الوحدة الوطنية الرضائية؛ إذ هي التي قد تبدع فنًا شعريًا ثريًا، غنيًا بالمعاني، دفاقًا بالعاطفة، محلقًا في خيال الإبداع، متوحشا بوشاح الوطنية الصادقة.

المبحث الأول:<u>الوحدة الوطنية وفضل الملك المؤسس في عيون الشعراء:</u>

تمتاز الوحدة الوطنية في المملكة العربية السعودية بسمات، تباينها عن غيرها من أنماط الوحدة الوطنية في بلدان أخرى، لكن أبرز ما يرتبط بالوحدة الوطنية للمملكة هو ارتباطها في البدء بتأسيس المملكة في عصرها الحديث على يد الملك عبد العزيز (رحمه الله)، الذي بذل – ومن معه – جهودًا مضنية وحدت أشلاء جسد متناحر متنافر متقاتل في وطن له هوية وكيان، فكان ذلك التوحيد بداية لوحدة وطن شرع – أفرادًا وجماعات– يتحولون من حال إلى حال وتلك السمة الأخرى الأبرز في نسيج تلك الوحدة، وهي ارتباطها بشكل كبير بأمن الأفراد والجماعات.

والحق أن ما صوره الشعراء عن حال الجزيرة قبل التوحيد، يشي بأن الحفاظ على الوحدة الوطنية، وحدة هذا الوطن، هي مسألة وجود، إذ يقابلها في الجهة الأخرى مصير ذاق أهل الجزيرة ويلاته وأهواله، بل حتى العرب والمسلمين– وهم في حجهم– فعانوا من مثل ما عانى أهل الجزيرة، وهو ما صوره شعر أهل المملكة من الشعراء المعاصرين، ومنهم الشاعر أحمد إبراهيم العزاوي حيث يقول: [1]

فمن كان من قبل (السعود) وبأسه يطيق بلوغ الحج دون تزلــزل
ومن كان يستطيع المناسك آمنــاً على نفسه ما بين جمح وجرول

(١) أحمدالعزاوي وأثاره الأدبية، د.مسعدعيدالعطوى، الحرمين، المللكةالعربيةالسعودية،ط١٤١٤،١هـ،الديوان ص١/٧٣٤

ومن كان في الرؤيا يصدق أنـه يروح ويغـدو في أمان مخـــول
ومن كان يأتي للحجـــــاز وقلبه يرجي نجـاة من حِمـــام معجل
ومن كان لا تغري الثياب بحتفـــه ولو هي ساوت نصف حبة خردل

لقد كان حلماً أن تظفر بالأمن على نفسك وأهلك في بيئة صار الحجيج فيها نهبًا مستباحًا، بل صار القتل أمرًا مشاعًا حتى وإن لم يكن له ما يبرره؛ فلا يتصور ضياع حياة إنسان في نصف حبة خردل. ويبدو أن هذا الحال من عدم الأمن وضياع الأمان، والتي صورتها الأبيات السابقة، لم يضج به أهل الجزيرة وحدهم،بل صار يشكو منها غيرهم ممن يأتون لأداء الفريضة، فهذا شوقي شاعر مصر يضج من ضياع الأمن في ربوع الجزيرة ويجأر بالدعاء إلى الله أن يحمى البيت وقاصديه من هذه الفتن:

ضَجَّ الحِجازُ وَضَجَّ البَيتُ وَالحَرَمُ وَاِستَصرَخَت رَبَّها في مَكَّةَ الأُمَمُ
قَد مَسَّها في حِماكَ الضُرُّ فَاِقضِ لَها خَليفَةَ اللَهِ أَنتَ السَيِّدُ الحَكَـــمُ
لَكَ الرُبوعُ الَّتي ريعَ الحَجيجُ بِها أَللِشَريفِ عَلَيها أَم لَكَ العَلَـــمُ
أُهينَ فيها ضُيوفُ اللَهِ وَاِضطُهِدوا إِن أَنتَ لَم تَنتَقِم فَاللَهُ مُنتَقِـــمُ
أَفي الضُحى وَعُيونُ الجُندِ ناظِرَةٌ تُسبَى النِساءُ وَيُؤذى الأَهلُ وَالحَشَمُ
وَيُسفِكُ الدَمُ في أَرضٍ مُقَدَّسَـــــةٍ وَتُستَباحُ بِها الأَعراضُ وَالحُـــرَمُ[1]

ومن خير من قدم صورة لحال الجزيرة من ضياع وأهوال وفتن قبل توحيدها– عبر الصورة الشعرية–الدكتور مسعد العطوي في كتابه"الشعر والمجتمع"؛ إذ يقدم أبياتًا للغزاوي يقول فيها:

ورأى القـــوم في الجزيرة بحرًا زاخر البغي ممعنًا في افتئاته

(١) الأبيات من قصيدة (ضجيج الحجيج) التي رفعها أحمد شوقي إلى السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٤م، شاكيًا فيها اضطراب الأمن في ربوع الحجاز.
الشوقيات، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ٢٠١٦م، ج١/ص٢٥٨.

يتحدى البريء فهـــــو مريب	**ويمد المسيء في إعنـــــاته**
ويسود القوي منهـــم فيمضي	**جوره فيهم على عـــــــلاته**
كما شاء كان ما هو يهـــــوى	**ولو اغتال أمةً بهنـــــــاته[1]**

ويستأنف تصوير ما أصاب البلاد في تلك الآونة من ظلم وفساد من خلال أبيات الشاعر أحمد الغزاوي الذي "يرصد الجناة، فهم في كل وادٍ وكل جبل على الطرقات والمنافذ، يفتكون بالمسافر بل القوافل،فينتظرون المسافرين، ليباغتونهم، ويقتلون وينبهون أسلحتهم وأموالهم ومطاياهم..والشاعر يقسم أصحاب النفوذ مع ضعف شأنهم، فمنهم المنشغل بملذاته، وهم الأقل والأكثر الشريك الذي تجبى إليها السهام. وجامع كل ذلك إراقة الدماء بقتل الأنفس البريئة نتيجة لأطماع حقيرة، ونفوس شريرة تستفزها كلمة من الكلمات:

وتخـــوم البلاد في كـــــــل وادٍ	**مرصد للطغاة في هضبـــــــاته**
يكمن الموت عابساً مستتـــــــرًا	**في دياجيه–تارة– وفي ضحـــواته**
وأولو الشأن ســـــابح في خيـــال	**أو مكب يفتن في لـــــــــذاته**
أو شريك تجبى السهـــــــام إليه	**أو جريء همومه في غـــــزاته**
ودم مهرق على غير حـــــــــدٍ	**في حمى الله مهرق بغـــلاته[2]**

في بيئة كهذه، تخلو من أدنى معاني الأمن والاستقرار– كما صورها الشعراء– نتيجة الفرقة والتناحر والتظالم، كان ظهور المنقذ المخلص من تلك الفتن والمفاسد مرتبطًا في الأذهان بتحقيق ذلك الأمن والاستقرار، فتكون ثالوث ارتبط كل ضلع من أضلاعه بأخويه: الوَحدة –الأمن– الملك عبد العزيز.

وأدرك الشعراء قيمة هذه الوحدة، وعظموا هذا الصنيع، ومجدوا بانيها ومنشئها، وكثرت قصائدهم في مدحه، ولهجت أشعارهم بالثناء عليه:

(١)الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية، مسعد بن عيد العطوي،الرياض ط١٤١٧،٢ص١٦

(٢) السابق، ص١٧.

سل الجزيرة غاديهـــا ورائحها من عزز الأمن، بالإسلام طهـرني
من وحَّد الدار والأحباب كلهـم بعد التمزق، بالأخـــــلاق كرمني
"عبد العزيز"ولا يخفى على أحد داوى جراحي، وبعد الخوف أمنني[1]

وكثرت في هذا السياق قصائد الشعراء، تربط بين مثلث الوَحدة والأمن والملك المؤسس، فهذا الدكتور محمد بن حسن الزير يقول:

"عبد العزيز" سرى بليل أفحـــم يبغي الصباح فلاح فجر أسعدُ
سعدت به كل الربــوع وقد غدت كلُّ البطاح فجاج أمن يعـــهدُ
رعت الخراف مع الذئاب وصاحبت وُحُش السباع ظباءهـا وتوددوا
وتواصل الأمن العميـــم بساحـــنا وبلادنا والعيـــش عيش أرغد[2]

وهذا الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي يقول :

تبارك الله ما أسماك من مـــلك ترجى فواضله في البدو والحضر
أقام للدين والتوحيد ما هدمـــت أيدى النكاية والتضليل والأشـــر
وأمن السبل والأرواح فانطلـقت بعد التخوف والإحصار والخطـــر
وألف الشمل حتى عاد ملتئـمًا ما كان متعصمًا بالبيض والسمـر
وشيد الملك مرهوبًا بصولتـــه بدعوة الحق والتوفيق والظفـــــر
وأسس الوحدة الكبرى على دعم من العقائد والإيمان والقـــــدر[3]

(١) الأبيات للشاعر محمد أمين عمر، من قصيدة بعنوان" أنعم باني الوطن"، ضمن مجموعة قصائد الاحتفال بمئوية تأسيس المملكة.

– يرجع: صدى المئوية، قصائد لشعراء معاصرين بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩/١٩٩٩، ص٢٩٦.

(٢)صدى المئوية،ص٢٠٥، الأبيات للشاعر الدكتور محمد حسن الزير من قصيدة بعنوان"يا وطني"

(٣) ديوان الغزاوي، ص٧٧٢، من كتاب الشعر والمجتمع ص ٥١.

لكن الشاعر يبرز في الأبيات السابقة عنصرًا آخر،أضفى من القوة ما عضد به أضلاع المثلث السابق،وهو رباط العقيدة والتوحيد والإيمان،تلك الركائز التي أقام عليها المؤسس"وحدة كبرى"بين قبائل متنازعة، وجماعات متناحرة.

وشعر بهذا الأمن–أمن الوَحدة في ربوع الجزيرة– من كانوا يفدون من خارج الجزيرة، فهذا أحمد الكناني وقد حج من مصر عام ١٣٤٩هـ، يسجل إعجابه بما صار إليه الحال من أمن يأمن معه الحاج على نفسه، وما ذاك إلا بفضل ما أقامه ملك الجزيرة من بناء قام على الوحدة والتوحيد، وحدة البلدان على عقيدة التوحيد، يقول الكناني:

"عبد العزيز" نشرت الأمن في بلد كانت نفوس البرايا فيه تنتهـــب
وقد أقمت حدود الله معتـمدًا على العدالة فارتاعت لها العصـب
إذ ما رعوا حرمة البيت الحرام ولا خافوا الإله ولم تردعهم النـــوب
فأنت الذي لولاك ما أمـن الـــ ـحجاج بل أنت في ذيالراحـة السبب
صنت البلاد بعين منك فاعتصمت ممن يظنـونها نهبًا لهم نهبـــوا[١]

وهكذا صور الشعر السعودي المعاصر الوحدة الوطنية السعودية الأولى على يد مؤسسها الملك المفدى عبد العزيز طيب الله ثراه، وكشفت قصائدهم عن تبدل الحال أمنًا بعد خوفٍ، وهدى بعد ضلال، وصلاحًا بعد فساد، بفضل وَحدة، قوامها التوحيد والإيمان بالله ربًا، لا ابتداع في عبادته.

المبحث الثاني: التغني الوحدة الوطنية وثمارها:

نمت واحة الوَحدة الأولى على يد مؤسسها، وألقت بظلالها الورافة على العصور التالية، وصار أبناء الوطن يستغيثون بظلالها وينعمون بثمارها وبقيت

(١)صحيفة أم القرى،ع٣٣٣ السنة السابعة، والأبيات من قصيدة بعنوان "من علاك جلال الملك يكتسب" للشاعر المصري أحمد محمد الكناني، ص٤– وأشار إليها الدكتور العطوي في كتابه الشعر والمجتمع ص١٠٤

تلك الواحة غداقة بخيراتها، ما دامت وحدتهم وألفتهم وترابطهم وتمسكهم بوحدة وطنهم، كونه خيارًا استراتيجيًا ذاقوا مرارة فقدانه من قبل، وعانوا من ويلات الحرمان منها. وصار هناك وطن، يمدحه الشعراء ووحدة يتغنون بها، ودنت ثمار هذه الوحدة فصاروا يتسابقون بالحديث عنها في أشعارهم. وأشعارهم في حب الوطن والحنين إليه كثيرة فهذا طاهر زمخشرى يقول:

أنا في حبه سكبت أغاديري فكانت على اشتياقـــه شهـودا
فإذا شخت من تزاحم آلامي فحبي إليه يحبو وليـــــدا (١)

ويقول:

صاغها الحب من ولاء تزكى من قلوب قد شاقها التغريـد(٢)

ويقول:

غرس الحب فانتظمنا صفوفًا وحدتها على يديه العهـــود(٣)

لقد صار هناك وطن يتغنى به الشعراء بعد أن كانوا يتغنون بالقبيلة، وصارت هناك أرض يحنون إليها، ويشتاقون إلى أحضانها إن غربتهم الأيام عنها، فما صار الحنين إلى"عَبْس"، و"بكر"و"تغلب"وإنما صار الحنين إلى وطنٍ:

وعدت إليك ... ألقيت بمرساتي
على الرملِ
غسلت الوجه بالطل
كأنك عندما ناديتني
وهمست في أذني

(١) الأبيات من ديوان "مجموعة النيل"، جده، تهامه، ط١، ١٩٨٤، ص٤٧٤.
(٢) السابق، الصفحة نفسها.
(٣) مجموعة الخضراء، طاهر زمخشري، جدة، تهامة، ط١، سنة ١٩٨٢، ص٨٣٥.

"رجعت إليَّ يا طفلي؟!
أجل أماه عدت إليكِ
طفل دائم الحزنِ
تغرب في بلاد اللهِ
لم يعثر على وكرِه
وعاد اليوم يبحث فيكِ عن عمرهِ
وعدت إليك يا صحراءُ
ألقي جعبة التستار
أغازل ليلك المنسوج من أسرارِ
وانشق في صبا نجد
طيوب عرار
وأحيا فيك للأشعار والأقمار (١)

لقد كان حب الوطن والتغني به سبيل شعراء المملكة المعاصرين إلى دعم هذه الوحدة الوطنية وحفظ عراها من التشرذم والتفكك؛ فعبروا في أشعارهم عن حب ذلك الوطن الواحد، القوى بوحدته، الأبي بتماسكه، وأعلنوا فداءهم له بأعز ما جادت به الحياة عليهم:

أفديك يا وطني إذا عز الفـــدا ... بأعز ما جادت به نعم الحيـاة
كل الوجود وما احتواه إلى الفـنا ... إلا هواك يظل مرفوعًا لـــواه
منك الشجـــاعة والكـــــرم ... فيك المـــــروءة والشمـم
تعلو بعليـــاك الهمـــــم ... لتظـــل مرفـوع العلـــم
أهوى ثراك الطـــاهر الغـالي ... أهوى سمـــاك ومجدك العالي

(١) قصائد من الصحراء، محمد المنصور الشقحاء، مطبوعات النادي الأدبي، الطائف، دارالتراث، ١٩٩٨ ٤٣-٤٥.

يا فجر أحــلامي وآمـــــــالي تحيا وتحلو في معانيك الحياة

أهوى الذي يهـــــواك يا وطني وأصد من عــاداك يا سكـني[1]

لقد صار الوطن المتوحد، بلادًا يتغنى بحبها الشعراء، حبًا صادقًا استقر بالفؤاد، لا أبيات مناسبات تلقى في المجامع والنوادي والمنتديات:

نفثـــات حـــر هــذه لكِ من فؤادي يا بــلادي

أنا لا أقـول لكِ اقرئيها في المجامع والنـــــوادي

وترنمـــــي بنظيمـــها ونثيرها ترنيم شـــــــادي

لكن أقول لك اذكري أني أذبت بها فـــــوادي

كيما ألـــبي داعـــــيا في النفس قام بها ينادي[2]

وعظم الشعراء من أمر هذه الوحدة التي يعيشها وطنهم، وصاروا –كما تعنوا بالوطن– يتغنون بهذه الوحدة التي يعيشها الوطن:

يا سعودية وأنت ملاذى طول عمري وكعبة القصاد

جمع الود أمرنا فغدونا أمة للهدى تمـــد الأيادي

واعتصمنا بديننا وهتفنا نحن بالله من خيار العباد[3]

حتى صار التغني بهذه الوحدة اجلالاً وتقدسيًا حين أسندوها لله تعالى ونسبوها إليه، وجعلوها نعمة من الله وفضلاً لا يقل عن نعمة "البيت" عليهم، بل صارت نعمة الوحدة –وحدة الوطن– أولاً، ونعمة بيت الله الحرام بعدها:

السعودية يا أغلى الديار أنت للدين وللدنيا منـــار

وحد الله لها أقطـــارها وسما البيت بها أسمى شعار[4]

(١) حديث قلب، الشاعر عبد الله الفيصل، جدة، دار الأصفهاني، ١٣٩٣، ص٢٩-٣٠.

(٢) ديوان العواد، محمد حسن عواد، القاهرة، ط١، ص٥٩.

(٣) النبع الظامي، عبد الله محمد باشراحيل، شركة المدينة المنورة، جدة، ١٩٨٦، ص ٥٣، ٥٤.

(٤) المجموعة الكاملة للشاعر حسين على عرب، شركة مكة، مكة، ج١، ص٣١٠.

وحسب الشعر السعودي اليوم أن يتغنى بثمار هذه الوحدة الوطنية التي أبقت الأمة متحدة، وسمت بالمملكة إلى ذرى المجد، يسعى إليها الآخرون، يخطبون ودها، ويخفضون جناح الولاء لها:

حسبنا اليــوم بها مملــكة ... قد تسامت في ذرى المجد ارتقاء
صوتها بين النوادي صــارم ... عــارم النبرة وضـــــاح الأداء
صانها الله بقرم عاهـــل ... من ليوث البيد مرهـوب النــداء
جمـع الأشتات من أصلابها ... وكساها بالهــدى أبهـــى رداء
وأحال الفقـر منها مخصـــبًا ... ناضــر الصفحة جذاب الــرواء
أصبحت بالله طــودًا شامخًا ... واســع الأرجاء محـــمي البناء
دولة تسعى إلى تقـــديرها ... دول الأرض، وتحبـــوها الولاء[1]

انتقل الشعر بثمار هذه الوحدةالتي تعيشها المملكة–في الأبيات السابقة– من حال الأمن الذي عم البلاد بعد فوضى واضطراب، وهو ما كان يشغل شعراء المرحلة الأولى في الدولة السعودية، إلى مرحلة تالية من جني ثمار الوحدة الوطنية، وهي الخصب والنماء والخير العميم، فاستحال الفقر خصبًا ناضرًا يعم أرجاء الوطن السعيد. والحق أن الملك المؤسس اتسم بحنكة السياسي المخضرم الواسع الأفق بعيد النظر؛ ذلك أنه لم يكتف ببسط الأمن وفرض سلطة الدولة بالشرع ثم بالسيف، فحسب، وإلا لما كان للدولة أن يدوم استقرارها وتبقى وحدتها، إذ الأمن وحده–مع أهميته–لا يصنع أمة، وإنما شرع ينشئ "الهجر" ويدعم الاقتصاد ويتبنى نشر التعليم والرعاية الصحية بمنشآتهما وكوادرهما، فأقام بحق بعد بضعة عقود– وهو إنجاز في عمر الشعوب– مملكة "قد تسامت في ذرى المجد ارتقاءً"، "صوتها بين النوادي صارم"، "طودا شامخًا"،

(١) المجموعة الكاملة للشاعر حسين على عرب ، ج١، ص٩٢،٩٣.

"واسع الأرجاء"، "محمي البناء"،"تسعى إلى تقديرها دول الأرض"،لكي"تحبوها الولاء". وهكذا أوجز شعراء المملكة المعاصرين ثمار الوحدة الوطنية في أمرين، بهما ارتقت المملكة الذرا، وبلغت الآفاق،وهاتان الثمرتان هما الأمن ثم النماء، وكلاهما منوط بوحدتهم الوطنية؛ فإن تنازعتهم الفرقة من جديد،وتخلوا عن وحدتهم،عادوا إلى ضنكهم وحَالَ الخصب قحطًا وجدبًا ويبسا.

المبحث الثالث: النهضة والبناء عماد الوحدة الوطنية في قصائد الشعراء:

لقد أدرك شعراء المملكة المعاصرين بحسهم الوطني ووجدانهم الصادق أن سبيل الحافظ على تلك الوحدة التي شادها آباؤهم بدمائهم ، تحتاج إلى عزم وجهد وعمل ونهضة تقوي دعائمها وتثبت أسسها ؛ لذلك ألفينا في أشعار كثير منهم دعوات تترى، تحث على نهضة الوطن، وبناء دولته الحديثة.

وما أحسب أن هؤلاء الشعراء بحدسهم الذي يسبق الآخرين، ورسالتهم التى تنوء بها كواهلهم، يجهلون خطورة الخنوع في إسار الماضي القريب بشتاته وبدعه وجهالته على روح الوحدة الوطنية المتقدة في نفوس أبنائه، ومن ثم كان إلحاحهم في الحث على بناء الوطن وتشييد الدولة الحديثة بجهد الأبناء وهمة الشباب، إدراكًا منهم بحاجة تلك الوحدة التي شادها آباؤهم إلى ما يحفظها من التفتت والضياع. وفي سياق شحذ الهمة لنهوض الأمة، وبناء وحدة وطنية قوية ثابتة شامخة باقية يخاطب الشاعر بني وطنه:-

يا أمة في جنـــــان الـ حياة كانت غصونا
هذي الحياة تنـــــادي فهل لها سامعــونا
فاتبعوا السير وامــضوا بهمة الأوليـــــنا
من طاولوا الشهب مجدًا وأزهقوا الظالمينـــا
وعززوها دهـــــورًا وشيدوها حصـــونًا

وخلدوا ذكريـــــــات سدنا بها أجمعينـــًا

ولألفاظ تلك الأبيات من الإيحاءات ما يؤكد ما ذهبنا إليه من القول بأن الشعراء ربطوا بين بناء الوطن وتقدمه وبين وحدته الوطنية؛ فالشاعر في البيت الأول يشير إلى أن هذه الأمة التي صارت دوحةً في جنان الحياة، كانت من وقت قريب غصونًا، والغصون عادتها التفرق والتنافر والعشوائية؛ وإن كانت تجمعها شجرة، واحدة، وهذه إشارة إلى حال ما قبل الوحدة، وفي البيت الأخير تشي "أجمعينا" بأن السيادة والريادة التي حققتها المملكة هى تلك "الجمعية" أو بتلك الوحدة الوطنية، وبعد أن ذكرهم الشاعر بأنهم أمة في جنان المجد بعد أن كانوا غصونًا متفرقات بسبب وحدتهم، يشرع في بث رسالته، رسالة الشاعر الذي يرى بعين شعره مالا يراه الآخرون، الشاعر الذي يقود بقصيده أمة ، فينبئوهم بأن الحياة تناديهم للجد والعمل للنهضة والبناء، لبذل الجهد والتضحية والفداء، كما أسلف الآباء، ورفعوا قواعد البناء، فهل من سامع لهذا النداء ؟! استفهام يستحث به الشاعر أبناء الأمة أن يحافظوا على وحدة هذا البناء بجهد يفوق جهد الآباء. ومن ثم توالت النداءات والدعوات:

سندعو إلى المجـد أبطاله ونرفع في الناس أسمى علــم
فيهتف بالحق أنصـــــاره يسيرون في موكب كالخضــم
وفي لجة تتهادى المـــنى تنادي تهيب بمن لم ينـــــــم
ونسمو صعودًا لغاياتنـــا ونزهو بعزتنـــا في الأمـــــم
سنبني الحياة كما نشتهى ونفدي الديـــــــار بروح ودم
ونسحق أهدافنا الترهــات وتقشع من حالكات الظلـــــم

لنحيل تجلجل أصواتنـا ومن رجعها للأعادى رُجُـم [1]

نعم الحفاظ على وحدة الوطن وما حقق من أمجاد، تحتاج إلى عمل دؤوب يحيل الأصوات الجوفاء في جسد الوطن إلى رجع يرجم أعداء الوطن ووحدته من دعاة الفرقة والتشرذم . وتلك دعوة أخرى من الشاعر محمد سرور الصبان، يستنهض شعب المملكة لاستكمال مسيرته، ولا ينسى أن يذكرهم في نهاية الأبيات بأن وحدتهم فيها سعادتهم وفيها رفعتهم، حيث يقول:

من لي بشعب نابه مستيقظ يسعى لهدم رذائل العـادات
من لي بشعب عالم متنـور ثبت الجنان وصادق العزمات
من لي بشعب باسل متحمس حتى نقوم بأعظم النهضـات
من لي بشعب لا يكل ولا يني يسعى إلى العليا بكل ثبـات
إن البلاد بأهلها فبجهلهـم تشقى وتلقى أعظم النكبـات
وإذا توحدت الجهد لخيرهـا سعدت ونالت أرفع الدرجات[2]

ولا أحسب أن الشاعر يقصد "بجهلهم" في تلك الأبيات إلا الفرقة والتنازع والتخلي عن الوحدة الوطنية؛ فبدونها تشقى البلاد وتلقى أعظم النكبات".

وثمة شعراء حصف، أدركوا أن قوة الشعب في شبابه وأنهم عصب الأمة وعماد وحدتها ونهضتها، فكانت الدعوة إليهم في قصيدة يشي عنوانها عن غرضها، وعنوانها "أشبال الكنانة"، يقول الشاعر:

إنى أحيـي فيكـمو عزم الشبـاب المضطرم
والعلم والأمل المظفر والمحامد والشـمم
وأقوم بين يديكمو أشدوا وأهتف باسمكـم
مترنمًا بتحيتي بالمجد تبعثه الهمـم

(١) مجموعة النيل لطاهر زمخشرى، مرجع سابق، ص٦١٥ .

(٢) وحي الصحراء، محمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله بلخير، تهامة، جدة ط٢، ١٤٠٣، ص٤٤.

ومرتلاً باسم الشباب والذكريات صدى الأمـــم[١]

وهكذا ظل الشعراء ينادون بالعزم والعمل على بناء وطنٍ يحمى وحدته، وتحميه الوحدة.

المبحث الرابع: دستور الوحدة الوطنية في ميزان الشعراء:

كان لإدراك شعراء المملكة لأهمية الحافظ على الوحدة الوطنية بين أبناء مملكتهم في صون أركانها ودعم نهضتها دورٌ في اتجاه عدد منهم إلى تفنيد ما قد يضر بهذه الوحدة، والتحذير من مغبة النكوص عنها، داعيًا إلى التمسك بمبادئ تحفظ لهذه الأمة وحدتها وأمنها ورخاءها وسبيل نهضتها. وأول هذه المبادئ التي يقدمها الشعراء لحفظ وحدة المجتمع مبدأ "نبذ التعصب للأنساب"، فقد شاءت أرادة الله أن تجمع هذا الوطنَ وحدة بين" شرائح مختلفة من الحاضرة المختلفة في ظروفها، ومن البادية المتأثرة بحياتها في الصحراء أو الجبال أو الداخل أو على مشارف المواطن الحضرية"[٢] وخوفًا من الوصول إلى فلسفة مرحلة غير المتجانس، وهو ما يشير إليه الدكتور مسعد العطوي في ذات السياق، فقد نبه إلى ضرورة" اليقظة لها من الأدباء وعلماء المجتمع فهم جديرون بالتنظير لتشكيل هذا المسار الجديد إلى الأفضل"[٣]، ومن ثم يقول الشاعر:

لا تقل ذاك أصيل أو هجيـــــن فكلا النوعين من ماء وطين
إنما المـــجد لشهم نـــــــــابه أبداً يطمع في سبق السنيـن
همه الملتاع إشعاع الضيـــــا ء بليل معتم.. لا يستبـــــين

(١) المجموعة الكاملة لحسين علي عرب، مرجع سابق، ص ٢٣٢، ٢٣٣.
(٢) الشعر والمجتمع، ص٤٢.
(٣) السابق، الصفحة نفسها.

يسكب الأنوار من مشكـــــاته في صدور الحائرين البائسين[1]

وكأني بالشاعر يتمثل قول رسولنا الكريم عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر –رضي الله عنه– قال: قال رسول اللهρ:[**إن الله لا ينظر إلي أجسادكم ولا إلى صوركم،ولكن ينظر إلى قلوبكم**](رواه مسلم). فيضع مبدأ من مبادئ الحفاظ على الوحدة الوطنية، وهو عدم التفاضل بالنسب والقبيلة، وإنما الفضل في الجِد والاجتهاد والهمة والعمل ونفع الآخرين. ولعل ظاهرة التعصب للنسب أو القبيلة، أو لظواهر أخري في غير المجتمع السعودي، ظاهرة لا تخطئها العين" وقد استشعر بعض الشعراء معالم أشواك تؤدي إلى التبرم والضيق بها، وهي تقف في مساواة الأفراد، وبلوغهم بثقافتهم ونبوغهم ما يرمون إليه.. وهذا من معالم التفكك والعودة إلى التجمعات المغلقة مثل القبلية والإقليمية"[2].

ويقدم لنا الدكتور مسعد العطوي تجربة الشاعر السويداء مع ابنه الذي تعرض لمثل هذا، فيخاطبه قائلاً:

أبني "ماجد" فاصـــطبر فالصبر من شيـــم الكرام
أبني لا تجـــــزع إذا عاقوك عن نيل المـــرام
لقد اجتهـــدت مواظبًا تجتاح معمة الزحـــــام
كل الحيـــــاة تجارب وتطلع نحو الأمـــــــام
يكبو الجواد بدربـــــه حينا ويسرع للقيـــــام
نفسى كنفسك في العلا تصبوا إلى صدر المقـام
فلقد بذلت وجـــاهتي لتكون في شغف السـنام
لكننـــا في موقـــف من حول مائدة اللئـــام

(١) شعراء نجد المعاصرون،عبد الله إدريس، دار الكتاب العربي،القاهرة،١٣٨٠/١٩٩٠،ص٢٨٩.
(٢) الشعر والمجتمع، ص٦٩.

أبني لا تيـــأس ففـــي الكون مصابيح الظـــلام
أرزاق ربـــــي جمـــــة قد ساقها منشى الغمـام[1]

وما فتئ شعراء ما بعد الوحدة وبناء الدولة يحذرون من العصبية بكل أشكالها؛ فهم يدركون أنها مسمار في نعش الوطنية ووحدتها، بل في نعش الأمة بأسرها:

فأتوا من ثغرة ظنوا بهـــا منفذًا للصدع والشرخ العميق
وأراقوا سمـهم فى جوفهـا علهم أن يشعلوا فينا الحريق
أوغروا فيها صدوراً هزها وازع الجهل بما خلف النقيق
ذاك في تمييزهم ما بيننـا في أمور لفها عهـد سحيق
ذا قبيلي وهذا صـــــانع أو خفيري وذيـــاك رقيـــق
فاشرأبت بعض أعناق لها وانبري في نشرها ذاك الفريق
وهو لا يدرك حقًا أنهـــا رقصة الموت بحق وحقيق[2]

وفي مبدأ آخر من مبادئ حفظ الوحدة الوطنية، يقر الشاعر مبدأ "المساواة" في الحقوق والواجبات، أو مبدأ "المواطنة"؛ فما دمنا أبناء وطن واحد، نرنو لمستقبل واحد، وننتسب إلى أصل واحد، فكلنا لنا الحق على قدر عملنا، لا فرق بين كبير وصغير:

كأني (بالجزيرة) وهى ترنـو إلى مستقبل فيها يضـــوع
سواء في الشعور وفي التفاني (أخو السبعين) كهلا والرضيع
وتعزونا إلى (آباء صدق) كرام الأصل نحن لهم (فروع)
ألا لا يفخرن أحدٌ علينـا فإن كياننا أبداً منيـــع
أخذنا في النهوض وما انثيننـا وسرنا في الطريـق ولا رجوع[1]

(١) الأبيات لعبد الرحمن بن زيد السويداء، من شعراء حائل وهى بديوانه هواجس ص١٥٠، ونقلتها عن الدكتور مسعد العطوي من كتابه "الشعر والمجتمع"، ص٧٠

(٢) الأبيات من قصيدة "قافية" للشاعر السويداء، من ديوانه "هواجس"، ص١٣٢، ١٣٣.

ومن الملاحظ أن هذه القصيدة – كما يشير الدكتور العطوي– قيلت عام ١٣٥١هـ، مع بدايات التأسيس، ومن ثم فقد كان من عوامل نجاح قيام هذه الدولة وتقدمها وازدهارها أن مبادئ الوحدة الوطنية الصحيحة قد خطها المؤسسون الأوائل، وما هذا الشعر إلا صدى الرعيل الأول من الجيل المؤسس الذى صدح بأفكار ومبادئ الملك المؤسس، الملك عبد العزيز.

ومن أسمى المبادئ التى أشاد بها الشعراء في تنمية روابط الوحدة الوطنية والحافظ عليها، مبدأ "التعايش في وئام"، وبخاصة إذا كان هذا الوئام يقوم على مبادئ العقيدةالإسلاميةالسمحة فتصفو القلوب،وينتشر الإخاءبين أبناء المجتمع:

أيها الناس كيف نحيا ونبقى ... ويعيش الوجود حرًا يشاء
بأتلاف القلوب نحيا ونبقى ... ويحب يطيب فيه الرجاء
ووئام من العقيدة يسمو ... ورباط من الهدى ووفاء
متعة القلب أن نعيش بحب ... ومن الحب نعمة ورواء
نزعة العقل أن نعيش جميعًا ... في وئام يعم منه الرخاء
لا جفاء تفر منه النفوس ... وخصام يحل منه البلاء
أو جمود تضيق منه عقول ... أو جحود يقل منه الصفاء
أو نزاع يقل فيه نصيب ... أو عداء يشيع منه الجفاء[٢]

وأسمى من المبدأ السابق في الحفاظ على الوحدة الوطنية مبدأ التسامح الذي نادى به الشاعر حمزة شحاته في قصيدته التي يخاطب فيها وطنه وعنوانها "أهواك"، حيث يقول :

أهواك تمنحني الرضا أو تبخل ... أنا في هواك الفاتن المتبتل

(١)الأبيات للشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي، من ديوانه ص٦٧٠.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة لمحمد إبراهيم جدع، نادي جدة الأدبي، ط١، ١٤٠٤، ص٥١.

طلقت أسباب الحياة وعفتــها حتى استباني وجهك المتهلل
وظمئت لا تروى المباهج مهجتي حتى بدا من ناظريك المنهل
فنسيت آلام الحياة وبرحهـــا وغدوت لا أشكو ولا أتململ[1]

فالشاعر لا يرى في الحياة إلا وطنه، ولا تصفو له الحياة إلا فيه، وليس للسعادة معنى إلا في سعادته، ولا يرويه من ماء الدنيا ماء إلا ماء منهله، ومن فرط ذوبان حب الوطن في فؤاده، صار التسامح والعفو والصفح عنوان تعامله مع أبناء وطنه، وهذه الروح إن سرت بين أفراد المجتمع ، فليس لوحدته الوطنية انتهاء. منتهى السمو أن تحب الوطن لا لعطائه وإنما لذاته، فإن أعطى رضيت وإن أمسك ما عصيت.

ويبقى مبدأ أخير، ادخرته لخاتمة الحديث ليكون مسك الختام، يصفه الدكتور العطوي "بالإحساس المثالي"، وأصفه "برهافة الحس الإنساني"، لكن إن وصفناه في إطار الوحدة الوطنية، فيمكن أن نسمه بمبدأ "الوحدة الوطنية"، يطالعنا الشاعر "خالد الفرج" بنموذج لهذا الحس الوطني الإنساني الراقي قائلا :

لا أُريد المال أَكداساً لجيناً أَو نضار في بنوك عامرات أَو خزانات كبار
أَو قصورا شامخات أَو نخيلا أَو عقار أو رفاهاً من نعيمِ العيشِ ما شاءَ اليسار
وأَنا أَنظر حولي كم عليها من فقـــير
لا أَريد الشمس تسبيني بأَنوار الشروق أنا لا أَنظر للروض بألحاظِ الشَّفوق
غادتي لا تحسبي صدي جفاءً أَو عقوقْ كلُّ حسنٍ أَو جمال أَو بهاءٍ لا يروقْ
وأَنا أنظر حولي أَيها البلبُلُ مهلا لا تغرِّدْ كـــم عليها من ضـــرير
في الغصـــونْ قَطِّعْ الأَوتارَ يا عازفُ واهدأ في سكون
لا أُريد الأُذن أن تسمعَ نغماً أَو شجون لا خريرا لا عزيفاً لا رنيناً لاحـــنين

(١) ديوان حمزة شحاتة، دار الأصفهاني،جدة، ١٤٠٨، ص٢٥.

وأَنا أَنظــر حـــــولي	**الصم في الدنيــا كثــير**
لا أَريدُ السعدَ أن يدخلَ بيتي بالهنــاء	**لستُ يا هذا سعيدا وأَرى حولي الشقاء**
صحتي سُقْمٌ إذِ المرضى يعانون البلاء	**غيرَ أَني باسمٌ للموتِ إنْ جاءَ الفـــناء**
حينمــا أنظر مَن حولي	**إلى المـــوت يصـــير**

هذا–في ظني– أرقى معنى يصوغه شاعر يملك بين جنبيه قلب إنسان تملؤه روحٌ هي نفثة من الله الرحمن، وهو معنى ارتقى بارتقاء تأديب الرسولρلنا حين يقول:"ليس منا من بات شبعانًا، وجاره جائع وهو يعلم"(رواه مسلم). وازعم أن لو سادت هذه الروح أمة من الأمم لما انفكت عرى وحدتها، ولسادوا العالم، كما ساده أجدادنا منذ مئات السنين.

التوصيات

١– من خلال تتبع الباحث لمصادر يتكئ عليها في بحثه، ومع كثرة ما كتب من مقالات ورسائل ومؤلفات في مجال الوحدة الوطنية، إلا أنه لم يعثر– على قدر ما سعى– إلى دراسات أكاديمية تقوم حولها في الشعر العربي– ومنه السعودي– مع كثرة ما درس من ظواهر فيه، ومن ثم فإن الباحث يوصي بتوجيه أقسام اللغة العربية بفتح المجال أمام طلاب دراساتها العليا لدراسة الشعر الذي يندرج تحت هذا العنوان أو يتصل منه بسبيل.

٢– ومن التوصيات التي يتطلع الباحث إلى تحقيقها، توجيه الباحثين والمختصين في مجال الدراسات النقدية، بل اللغوية بشكل عام، إلى إلقاء مزيد من الضوء على ديوان الشعر السعودي الثرّ، إذ إنه يمتاز بكثير من الثراء الأدبي والفكري والخصائص التي مازال يعوزها البحث والدراسة.

٣– وفى مجال"الوحدة الوطنية" يوصي الباحث بتكثيف الجهود من خلال"الميديا" بكافة أشكالها،وبخاصةما بيدي الشباب من وسائلها لتوعيتهم بأهميتها وقيمتها في مجتمعهم،

وكذلك خطورة التخلي عنهاوالانجرار وراء أعداء الوحدةمن داخل الأمة وخارجها.على أن تكون هذه الجهود الإعلامية جهودا مبتكرة يمكن أن تؤتي ثمارها المرجوة.

٤-كما أضم صوتي إلى توصية الدكتور حسن حجاب الحازمي في دراسته بعنوان " صورة الأدب السعودي في مقررات المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية" والتي اقترح فيها إعادة كتابة المادة العلمية عن الأدب السعودي المقدمة في مقرر الأدب العربي الحديث المقدم في المرحلة الثانوية، لكني أضيف زيادة الاهتمام بالمادة العلمية في مجال "الوحدة الوطنية".

ثبت المراجع

- أحمدالعزاوي وآثاره الأدبية،د.مسعدعيدالعطوى،الحرمين،المللكةالعربيةالسعودية،ط١،١٤١٤
- الإسلام والوحدة الوطنية، محمد عمارة، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٩.
-الانتماءفي ظلال التشريع الإسلامي،د.عبدالله النجار،المؤسسة العربيةالحديثة،القاهرة
-التأصيل الشرعي للمواطنة والعلاقة بين المواطنة والانتماءات القومية والعرقية والدينية، للشيخ الدكتور عجيل جاسم النشمي، البحرين، بتاريخ٢٢من ربيع الثاني سنة١٤٢٩هـ
- حب الوطن(من منظور شرعي)،د. زيد بن عبدالكريم الزيد،ط١، ١٤١٧هـ.
- حديث قلب، للشاعر عبد الله الفيصل، جدة، دار الأصفهاني، ١٣٩٣م.
- دراسات فى الوحدة الوطنية،مدثر عبدالرحيم،دار جامعةالخرطوم، السودان، ١٩٨٨.
-ديوان حمزةشحاتة،بقلم محمدعلي المغربي وعبدالحميدشبكشي،دار الأصفهاني،جدة،١٤٠٨هـ
- ديوان محمد بن عثيمين (العقد الثمين)، تحقيق سعد بن عبد العزيز رويشد، مطابع دار الهلال، الرياض، ط٣، سنة ١٤٠٠هـ.
- رؤساء الدول العربية أمام حق تقرير المصير وواجب الحفاظ على الوحدة الوطنية والترابية،عادل محمد زكي صادق وآخرون،مطبوعات أكاديميةالمملكة المغربية،فاس، ١٩٩٤
-السياسةفي الدول النامية،محاضرات مطبوعة بالرينو،صادق الأسود،بغداد، ١٩٧٠م.
- شعراء نجد المعاصرون،عبدالله إدريس، دارالكتاب العربي،القاهرة،١٣٨٠/ ١٩٩٠م.

- الشعروالمجتمع في المملكةالعربيةالسعودية،مسعد بن عيد العطوي،الرياض،١٤١٧هـ
- الشوقيات، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ٢٠١٦م.
- صدى المئوية، قصائد لشعراء معاصرين بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩/١٩٩٩م.
- صحيفة أم القرى العدد ٣٣٣ السنة السابعة.
- قصائد من الصحراء، محمد المنصور الشقحاء، مطبوعات النادي الأدبي، الطائف، دار التراث، ١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، ط١.
- المجموعة الشعرية الكاملة لمحمد إبراهيم جدع، نادي جدة الأدبي، ط١، ١٤٠٤هـ.
- المجموعة الكاملة للشاعر حسين على عرب، شركة مكة، مكة.
- مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث، عامر حسن فياض وعلى عباس مراد، مطبعة وزارة التعليم العالي، بغداد، ٢٠٠٨م.
- معجم اللغةالعربية المعاصرة،أحمد مختار عمر وآخرون،عالم الكتب،القاهرة،ط١٤٢٩،١هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
-مجموعة النيل، طاهر زمخشري، جده، تهامة، ط١، ١٩٨٤م.
- مجموعة الخضراء، طاهر زمخشري، جدة، تهامة، ط١، سنة ١٩٨٢م.
- مفهوم الوطنية والتأصيل الشرعي، سلوى بنت محمد المحمادي، بحث مقدم لندوة الانتماء الوطني في التعليم العام رؤى وتطلعات،المنعقدة في جامعة الإمام محمدبن سعود،الرياض، ١٤٣٠هـ.
- مفهوم الوحدة الوطنية وطرق تعزيزها في العراق، عبير سهام مهدي، بحث منشور بمجلة (The International and Political Journal- نشر جامعة المستنصرية،، Table of .content: 2012 volume: issue:22176
- الموسوعة العربيةالميسرة،مؤسسةأعمال المؤسسةللنشروالتوزيع،الرياض،ط١ ١٤١٦هـ
- النبع الظامي، لعبد الله محمد باشراحيل، شركة المدينة المنورة، جدة، ١٩٨٦م.

– الوحدة الوطنية، سليمان بن محمد الطماوى، القاهرة، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب،سنة١٩٧٤م.

– الوحدة الوطنية ومشكلات الأقليات في إفريقيا، عبد السلام إبراهيم البغدادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٣م.

– الوحدة الوطنية والنظام السياسي العراقي، محمد صبري إبراهيم العزاوي، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٧،ص١٤.

– وحي الصحراء،محمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله بلخير،تهامة، جدة،ط٢.